http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1943) السنة الثامنة - الاحد (24) تشرين الاول 2010

قناديل

# مجلات متخصصة في الإبداع النسوي

لطفية الدليمي

مجلة (تايكي) التي تصدر عن بيت تايكي في الدائرة الثقافية لأمانة مدينة عمان، منجز ثقافي قلّ نظيره في العالم، وهو الوحيد في المنطقة العربية الذي يوصف بأنه مجلة ثقافية (تعنى بالإبداع النسوي) ..

وعبارة (الإبداع النسوي) تحيلنا الى فهم خاص لتوجهات المجلة الرائدة، فكلمة (النسوي) تقدم تصوراً عن جهد يقع ضمن مفهوم (النسوية) لا (النسائية) المعنية بالازياء والمطبخ والزينة وشؤون البيت النسوية التي تعمل في المجال النقدي والفكري لاختراق منظومات الخطاب الذكوري الحامل للنسق الرمزي في مجالات الفكر والثقافة، هذا ما يميز (تايكي) التي استخدمت النقدية النسوية اداة إجرائية خاصة في ندواتها وملفاتها المحلية وملفات الأدب العالمي، مما رسخ خصوصيتها ومنحها هويتها الثقافية التي تتماشى مع التصورات الراهنة لأوضاع النساء وابداعهن وخصوصية خطابهن، دون تكريس الانوثة الهشة وسطحية التعامل التي تنتهجها المجلات النسائية السائدة عموما ، هناك مجلات تعنى بنشاط النساء الإبداعي دون تحديد التوجه والإطار الثقافي الذي ينطلق منه المطبوع، ومجلة (تايكي) التي تديرها نخبة من المبدعات في القص والنقد ومعهن ناقد واحد، لا تحتكر الرؤية النسوية ضمن غيتو نسوي مغلق، بل تفتح الأبواب لنقاد وكتاب يقدمون أعمالا في الإطار الثقافي ذاته من وجهة نظر (النسوية)، إنما بمرونة ووعي يحقق مفهوم الشراكة الإبداعية بين النساء والرجال ويوازنها بين المبدعات والمبدعين. ويبدو لي أن مشروع تايكي الناجح كمجلة وبيت ثقافي للإبداع النسوي ما كان له أن يتواصل وينجح بهذا القدر ويتطور لولا توفر عناصر أساسية تشكل دعائم حصانته وديمومة تألقه، ومنها:

– تبنّي المشروع من قبل الدائرة الثقافية لأمانة عمان، فالتمويل الثابت يدفع بالمشاريع الثقافية لتحقيق جدارة في المنافسة وتقديم عمل مهني مميز في طرازه وحر في توجهاته دون خشية من تعثر المشروع المعتمد على التمويل الفردي ومشكلاته..

– إدارة المشروع من قبل مبدعات بارزات من أجيال مختلفة.

–انفتاح المجلة على تيارات الإبداع النسوي في العالم والتعريف –عبر ملفات رصينة وغنية مترجمة اوموضوعة خصيصا للمجلة – بكاتبات وشاعرات وناقدات وفنانات ومبدعات من انحاء عالمنا.

– تقديم ملفات عن الإبداع النسوي في عدد من البلدان العربية بمثابة مفاتيح للتعريف.

–عقد ندوات دورية في المجلة لمناقشة قضايا الإبداع النسوي وإشكاليات المصطلحات النقدية.

لهذا كله يجدر بتايكي أن تقلد وأن تسري عدواها إلى مؤسسات ثقافية في بلادنا لتقديم فكر النساء وإبداعهن الذي يطوله العسف والإهمال وتتعرض صاحباته للمساءلة والتعنيف ويوضع نتاجهن –مهما سما قدره وعلت قيمته– في الدرجات الأدنى من إبداع الرجال في عالمنا الذكوري بامتياز.

تجربة تايكي المجلة وبيت تايكي للإبداع تجربة فريدة من طرازها، فهي ليست نتاج جمعيات نسوية ذات طابع نضالي سياسي أو حقوقي أو اجتماعي، إنما هي نتاج وعي ثقافي واجتماعي مترابط يرى الإبداع النسوي وسيلة فاعلة لتحقيق الشراكة في الإنجاز والموقف والتأثير المجتمعي والفكري، فلم تقدم تايكي أطروحات فكرية مجردة بل حققت إبداعا يقود الى وعي الأطروحة الثقافية وآفاقها ويسبقها، بمعنى أن السياق الإبداعي الذي تنتهجه تايكي ليس نتاجا لنظرية مسبقة من النظريات التي توقفت عند حدود مغلقة، بل هو نتاج يقع في حيز شاسع من التنوع يتيح للنظرية النقدية النسوية – أن تعيد ترتيب أولوياتها على أساس قيمة المنتج، فلا تخضعه لمحدداتها بل تستفيد من انفتاحه وتجدده. وتبقى ( تايكي ) المجلة الوحيدة المتخصصة في الإبداع النسوي والنظرية النقدية والرؤية الحداثية لقضايا الشراكة بين النساء والرجال ، حتى نرى مجلات أخرى تهتم بالإبداع النسوي أدبا وفنونا ، ليس من اجل تأسيس (غيتو) مغلق بل على النقيض من ذلك لفتح مجال الحوار بشأن خصوصية الإبداع النسوي وأهميته وتأكيد جدارة المبدعات اللاتي لايقل اداؤهن الفكري والإبداعي عن أداء زملائهن بل تتفوق العديد منهن في ضروب السرد والشعر والفن على ساردين وشعراء وفنانين عدوا الأبرز في مجالهم بسبب ذكورية النقد واخوانيات المجاملة ومهنة صنع الأساطير والترويج المجاني وغير المجاني، مثلما حظي بعض الكتاب والشعراء بالأضواء والتمجيد مع وجود شعراء وكتاب يفوقونهم إبداعاً وتفرداً للسبب ذاته وهو استسهال المديح والعلاقات الشخصية وافتقاد الرؤية النقدية الجادة وشيوع مهنة صنع أساطير يحرم المساس بها وكأنها طواطم مقدسة..

## السندباد يعود محملاً بالنصب إلى بغداد

# محمد غني حكمت

## والاحساس الدائم بان النحت ذاكرة مدينة

يحمل محمد غني حكمت سنواته التي تعدت الثمانين في شوارع احبها، اليد صلبة و الذاكرة شابة تجول في شوارع بغداد تصطاد حكايات العراقيين واحلامهم وقلقهم وضياعهم وبؤسهم وتشردهم ونرى المدينة كلما طلعت علينا كهرمانته وهي تصب الزيت على رؤوس اللصوص وكلما اطلت شهرزاد بقامتها الفارعة، ونرى بغداد كلما اطل علينا محمد غني بقامته المربوعة من على شاشة التلفزيون ونشم عبقها حين يهدر صوت المتنبي مجلجلاً :

على قلق كان الريح تحتي
اسيرها شمالا اوجنوبا

ونحس نبضها في ملامح نصبه ونرى تضاريسها في وجهه المحبب الى النفس، فنشعر اننا ازاء شخصية حملت في جوانحها كل افراح واوجاع واحزان ومسرات العراقيين.

علي حسين

ينتمي محمد غني حكمت الى طائفة من الفنانين الاثيريين على قلوب القريبين منه.. فنان يتمتع بعبقرية لها طعم خاص يترك اثراً في النفس..حين تشاهده تشعر وكانك قرأت كتاباً ممتعاً..فعند هذا الفنان قدرة عجيبة على تشرب الثقافة والحياة الكامنة خلف هذه الثقافة..فعندما يقف محمد غني حكمت في مشغله يكون عقله وقلبه واعصابه جزءاً من العمل النحتي فيعطي كل ماعنده.

من بين الشخصيات التي تسحر محمد غني حكمت وسحر بها الناس شخصيات الف ليلة وليلة وقد قدمها لنا من خلال عدة نصب ابرزها كهرمانة وشهريار وشهرزاد والسندباد البحري، حيث منح هذه الشخصيات حيويتها التاريخية بشكل عكس صور هذه الحكايات مختزلا من خلال نصب انيقة نفسه.

يقول الناقد الفرنسي جان ماركيه ان "داخل كل فنان حقيقي فيلسوف متامل "و لعلّ هذه العبارة هي الأكثر ملاءمة لوصف تجربة شيخ النحاتين محمد غني حكمت الذي ارتضى، على مضض، صفة " النحات "على حساب "حلم الرحالة الجوال "فهو لو لم يُعدّ نفسه ليكون فناناً لتمنى ان يتحولَ الى السندباد البحري معتبراً أنّ الفن وحده لا يكفيه، وأنّه كالغناء واللهو، مزيج من العمل والمتعة.

يفاجئك وهو الشيخ الذي تخطى الثمانين بانفتاحه على كل التجارب الجديدة، متكئاً على مقولة النفري «العلم المستقر كالجهل المستقر». في الواقع، فإن هذا الفنان البارز، لم يتوقف في محطة ثابتة. لطالما خضعت تجربته لتحولات كبرى، منذ أن درس النحت في معهد الفنون الجميلة على يد جواد سليم وجد نفسه في مهرجان من النصب والتماثيل.

"من خلال علاقتي الخاصة باستاذي جواد سليم تعرفت على عالم جديد هو عالم جواد.. كما تعرفت على مشاهير الفنانين.. فقد كانت مكتبة جواد غنية جداً. وبدأت أدرس تلك الأعمال وأتساءل كثيراً، بدأت أتعرف على مسائل تفصيلية كثيرة، وبدأت أدرك أن النحت ليس المحاكاة.. أنما هو أوسع من ذلك : ثمة شروط كثيرة ومختلفة لمعرفة هذا العالم وبدأت أفهم أن الإبداع يتطلب جهوداً شاقة ".

قبل هذا كان الصبي ماخوذا بعالم الالوان الساحر وهو يرافق والده الى دكانه الواقع بالقرب من ضريح الامام موسى الكاظم، هناك كان ماخوذا بسحر الزخرفة والابواب التي تحيط بالمرقد والزخارف التي تملا الجدران :

"كنت ارافق والدي الذي كان يعمل في تطريز ((العباءات)). وثمة ألوان وأصباغ سحرتني ودفعتني إلى مراقبة عمل والدي. ربما هناك أثر آخر وهو وجود محل والدي المقابل لباب المرادية في الكاظم، حيث كنت أشاهد ذلك الباب المزخرف وأرى تلك النقوش العربية الجميلة وتلك الألوان الساحرة ".

ستون عاما قضاها محمد غني حكمت في محراب النحت، يحاور الحجر، ويلهو فوق سطح الخشب العتيد كطفل أدمن غواية اللعب، ولا يزال وهو في عباءة الثمانين شغوفا بهذه الغواية، ينوع ظلالها وخطوطها وأشكالها، يمسك بمطرقته وهو يتذكر ابياتاً كتبها مايكل انجلو قبل خمسمائة عام :

إن مطرقتي العنيفة لتشكل الأحجار
الصلبة على شبه إنسان
أنا هذا وأنا ذاك
وتستمد حركتها من الراهب
الذي يوجهها
ويراقبها ويمسك بها

ولد صاحب كهرمانة وشهريار والمتنبي وعشرات من النصب، في بغداد عام ١٩٢٩، في مدينة بغداد، الكرخ وفي سوق العجمي وهو مثل معظم الأطفال السعداء تعلم القراءة والكتابة قبل دخول المدرسة. "في المدرسة الابتدائية "المدرسة الأميرية" بدأت أولى محاولاتي في الفن.. كانت محاولات في الرسم. كنت شغوفا برسم الاشياء المحيطة بي ، هذه المحاولات اثارت انتباه والدي الذي كان ذا نزعة فنية ،بدائية ".

ويتذكر: كنت أرافق والدتي إلى سوق القماشن في الكاظمية، فاكتشفت عالماً لونياً باهراً في الأقمشة الشعبية التي كانت "تبتاعها أمي من هذا السوق،في ذلك الوقت تمنيت ان اصير رسّاماً لأقمشة النساء ".

في معهد الفنون الجميلة يكتشف عالما جديدا، ويشاهد على يد جواد سليم نسخاً للوحات عالمية طالما سمع عنها، وتسحره تخطيطات مايكل انجلو، لكنّ ملازمته لجواد سليم كانت تنقله إلى فضاء أرحب.

"كان علي أن أستخلص نتائج معينة ومحددة. ومن خلال النقاش عن الفن العالمي والعراقي ومن خلال هذا المناخ بدأت أهتم باختصار الوقت في معرفة بعض النتائج: هذه النتائج التي ما زلت أتذكرها – والتي هي حصيلة لتوجيهات جواد – تتحدد في تركز النحات وإصراره على الإنجاز وحب العمل، والحلم، والتأمل، وأن لا أكون مبذراً في أي شيء.. وأن أثابر على العمل باستمرار".

بعد سنوات تتاح له الفرصة للمشاركة في معرض جماعة بغداد الثاني سنة ٥٣.. وأشترك في مهرجان ((أبن سينا)) ١٩٥٢ بعدد من القطع ضمنها تمثال لابن سينا وتخرج من المعهد.. وكان جواد سليم قد طلب منه أن يكون مساعدا له في التدريس وقد عين براتب (١٢) ديناراً. وبدأ بتدريس الطلبة.. وفي هذه السنة سافر جواد إلى الولايات المتحدة لإقامة معرض هناك. وكان جواد قد طلب منه تنفيذ بعض الأعمال. وكان يمكث معظم أوقات فراغه في منزل جواد، حيث الكتب، والموسيقى، وأستمر وضعه بهذا الشكل، لسنة كاملة، في تحمل مسؤولية التدريس مكان استاذه، حتى تم حصوله على زمالة دراسية إلى ايطاليا.

كان اختلاطه بعدد من الشعراء والكتاب، قد ترك بصمة واضحة في تفكيره.، ولم يكن مستغرباً أن يختار نصباً لابن سينا عنواناً لمشروع تخرّجه من معهد الفنون الجميلة:

"أن صلاتي بالنخبة الرائدة للفن والشعر التي كانت تلتقي في معهد الفنون، وتعرفي علي بدر شاكر السياب وحسين مردان ومحيي الدين إسماعيل وذنون أيوب وكاظم جواد.. الخ، منحتني فهما أفضل لكل الكشوفات في الأدب والفن.. وكان ذلك الوسط الفني قد ساعدني فعلاً وأعطاني فكرة للتعبير عن الواقع السياسي.. أنها مسؤولية وطنية تمس عمل الفنان في الصميم" يتم ترشيحه لبعثة الى روما هناك تبهره اعمال الفنانين الايطاليين وخصوصا ما يكل انجلو:

"بهرتني أعمال أنجيلو بحجمها الكبير جداً. وتلك الطريقة الفذة في الإنجاز والأفكار المعبر عنها بمادة الصخر.. أنها لرهبة من نوع نادر أن تقف أمام تمثال النبي داود ".

ويتذكر ((كنت متفرغاً للنحت تماماً. ولهذا السبب عملت معارض مشتركة، وهي حسب الكتلوكات بلغت معرضاً شخصياً ومشتركاً".

إثر عودته من ايطاليا، صدر قرار بتعيينه مدرساً لمادة النحت في معهد الفنون الجميلة، كان نبا رحيل جواد سليم قد وصله وهو في روما وكانت حركة النحت متوقفة والعاصمة خالية من أي نشاط بارز ومهم، – كما كانت جماعة بغداد مجمدة وبلا نشاط يذكر لأربع أو خمس سنوات، فيسعى الى بعث الروح في جماعة بغداد من خلال اعادة احيائها واقامة المعارض باسمها؟ وبتاثير من الفن الايطالي يبدا باعادة مناخات حلمية واسطورية شديدة الثراء تستمد من الاساطير العراقية موضوعاتها، نساء بكامل فتنتهن،، وزهورهن، يتنزهن في ليالي بغداد وإذا بشهرزاد تتسلّل إلى شوارع بغداد لتعيد صوغ منامات جديدة، تتشابك خطوطها بحسّ نحتي صارم، وروح مدرَّبة على التقاط مكامن الجمال. فالفنان فيه قد تغير، أصبح اكثر ثقة، ونتيجة للخبرة خف الإحساس بالقلق، بخاصة مع تذوق طعم النجاح، فالفن ثمرة تنضج في الإنسان، "وأنا أرعى هذه الثمرة، أعرف أوان نضجها، ومتى يحين وقت القطاف". ربما تغير قليلاً شعوره بالعمل، اصبح أكثر طمأنينة لما يقوم به.

ربما تكون الحكمة في إحساسه الدائم بأن النحت مليء بأسرار كثيرة، وتتعلم منه الحياة كلها. "أنت حينما تكسر الحجر، تحس بأشياء كثيرة تتحرك في وجدانك، وتندهك، تحس بأن ثمة حوارا بينك وبين الخامة، حتى وأنت تترجمها إلى لغة بصرية، وعلاقات شخصية، وتكسرها بطريقتك".

ورغم سنين الخبرة والتجربة فان الطفل الكامن في داخله مازال يحيا ما زالت الدهشة قائمة، وهي أحد عناصر الخبرة التي ظلت مرافقة له حتى اليوم وحكايات بغداد القديمة وعشت في مناخاتها وما زال يحس حين يقف أمام تمثال كهرمانة بانه حر وسعيد." لقد حررني الفن من وطأة الإحساس بالزمن، بمعناه المادي الواقعي الضيق، وفتح عيني على زمن آخر، مترام، زمن الأبدية والخلود، زمن الفن. ما أريد أن ألفت إليه هنا، أن هذه الهزة، هذه الخلخلة التي انتابتني في تلك السن الغضة، أعطتني إحساسا بأنني أقف على أرض صلبة. ومع تراكم الخبرة أصبح لدى مقياس قوي، أقيس عليه رؤيتي للفن والحياة، هذا الميزان هو فن النحت وقد عصمني من تشوهات بصرية وفنية، ".

تعززت هذه الخبرة برافد آخر هو الفن الشعبي العراقي، وهذا الفن عجينة بصرية، من التراث العباسي والبغدادي القديم، وبخاصة الملاحم والسير الشعبية. لقد قال لنفسه ذات يوم : ما دام لدينا هذا التراث الخصب، لماذا ألجأ إلى تقليد الغرب؟

يؤمن محمد غني حكمت بان الفن حركة متصلة،وهو ينظر إلى مراحل حياته الفنية وكأنها قوس واحد، مفتوح على لحظة البداية والنهاية معا. أحيانا يتوقف، ثم يعود بعد سنة أو اثنتين، أو ثلاث، ولا نسمي هذا قطعا، وإنما محاولة لإعادة النظر والتأمل والقراءة، واختبار الرؤى والأفكار، في حواره مع المادة.. أحيانا يبدا في عمل بحماس، ثم يتركه، ثم يعود لتكملته بعد عدة سنوات. وحين يحاول تفسير ذلك يكتشف أن ثمة إيقاعا، أو زمنا ما، كان هاربا في لحظة، ثم عاد من جديد.. وهكذا، فالفن بالنسبة له هو حفر في الذات واكتشاف لخباياها.

فنان ينحاز دائماً إلى الحلم،. الحلم بالنسبة له هو بمثابة دبيب خاص، منه تتفجر شرارة الإبداع، كما يفتح أمامه سككا ودروبا لا تنتهي، وهو يعتقد ان من المستحيل أن يوجد فنان بلا ذاكرة، لأن معنى ذلك أنه لا يستطيع أن يحلم، بل سيفقد الثقة في نفسه.

ننظر الى منحوتات محمد غني الساكنة فنكتشف ان حركة الكتلة ساكنة في داخلها،وان عمل الفنان يكمن في أن يجعلها تطفو على السطح، وهذا يتبدى من خلال وعي عميق بعملية المزج بين الثقل والخفة، بحيث يشكل كلاهما الآخر، ويفيض عنه بتلقائية وعفوية، وهذا أحد الدروس الأساسية التي تعلمها من الفن العراقي القديم، فنحت الاشوريين والبابليين وتماثيلهم لا تزال تطفو فوق سطح الزمان والمكان، وقادرة على أن تمنحك الدهشة في كل مرة تراها.

أحيانا نحس بأن تماثيل محمد غني تطفو فوق سطح الماء، من بين كل منحوتات محمد غني حكمت هناك المراة والتي يرتبط معها بعلاقة خاصة، وهو يتعامل معها فنيا باحترام ووقار، وفي أعماله يحرص دائما على أن يعيد لهذا الجوهر الأنثوي الإنساني قوته وتماسكه، وحيويته، بل قداسته، لا أبتذاله في نزوات فنية طائشة، وهو رأى أنه من الخطأ أن نحصر فكرة الأنوثة، أو الحسية في المرأة، ونحولها إلى مجرد مضمون، يثير نوعا من النزوة العابرة، كما يحدث لدى الكثير من الفنانين.

يبدو محمد غني اليوم سعيداً بما قدمه من نصب حاول الكشف من خلالها جوهر ذلك الانسان المحمل بعبق التاريخ وتاثيراته ملتقطا مجموعة من الخصائص والمعطيات فهو مرجع خيالي المصورات تؤرخ لابناء جلدته: عيون واسعة، ملامح مؤطرة بالزمان والمكان، انما لا تشبه وجوه المارة الذين نعرفهم لكنها في الوقت ذاته تشكل سيرورة تكبر وتنمولتعيش دائماً.

يعود محمد غني اليوم بعد غربة قصيرة الي الاستوديو الخاص به في شارع ١٤ رمضان ببغداد (كان هنري زوفوبودا صديقه الهنغاري الاصل قد صمم ونفذ استوديو محمد غني قرب مطعم الساعة...) وكان هذا اول استوديو في العراق عام ١٩٦٤، كان قد صممه على الطريقة الايطالية كان هنري كما يقول: محمد غني " عنده نظرة فنية خاصة، وله علاقات جيده معنا، وكان مدرسا" متميزا" في كلية الهندسة".

نقرا في وثائق محمد غني فنجده من مواليد عام ١٩٢٩ ولا يذكر تاريخ ميلاده لكنه، لا ينسى يوم سفره إلى روما في العشرين من شباط ١٩٥٥، ويقول: من هنا بدأ التاريخ....

مابين ١٩٥٨ حتى ٢٠١٠ أنجز محمد غني اكثر من ٥٠ عملاً نحتيًا ما بين نصب وتمثال وجدارية ونافورة من الخشب والحديد والبرونز والمرمر والحجر. لكنه يقول: ليس عندي أي مناسبة أحتفل بها، ولا أحضر أي حفل لإزاحة الستار عن أعمالي فأنا أتذرع بألف حجة للهرب من أضواء الإعلام المباشر.

لكنه يجد المتنبي الأقرب إلى نفسه..، هل لأنه يشبهه؟."

يكتب احد النقاد عن اعمال محمد غني قائلا :أسلوب محمد غني خاص ميزته التوازن والقوة والصنعة. أخذ الكثير عن القوس، وشواهد القبور، وعباءات النساء ممشوقات القوام ".

ويسال محمد غني: لو ولدت مرة ثانية فماذا ستختار؟

أن أكون السندباد.. البحري.

يعود السندباد البحري الى مدينته المحببة بغداد وفي غروب لايشبه غروب بغداد..وفي لحظة تتداعى فيها الامكنة والازمنة يبدأ الفنان اغنيته الحزينة الشبيهة باغاني البحارة وهو ينظر بعين الحب الى شوارع احبها.. متسائلا اين الاماكن التي ستضم منحوتاته الجديدة ..يعود السندباد ونتذكر معه ان هناك فناناً كبيرا اسمه محمد غني حكمت يستحق منا شعبا وحكومة كل الاهتمام والوفاء والحب؟

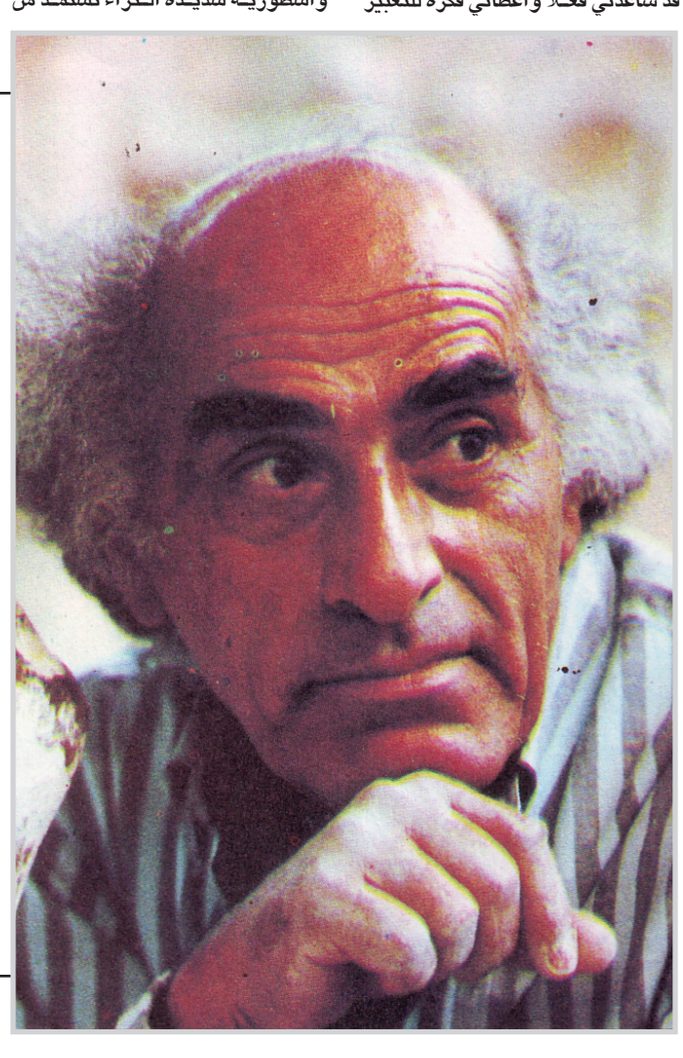

**يؤمن محمد غني حكمت بان الفن حركة متصلة، وهو ينظر إلى مراحل حياته الفنية وكأنها قوس واحد، مفتوح على لحظة البداية والنهاية معا. أحيانا يتوقف، ثم يعود بعد سنة أو اثنتين، أو ثلاث، ولا نسمي هذا قطعا، وإنما محاولة لإعادة النظر والتأمل والقراءة، واختبار الرؤى والأفكار، في حواره مع المادة**

– لقد تشرب الفن الآشوري والبابلي